شذرات

شذرات. مجلة. فصلية. فكرية
العدد صفر • صفر ١٤٤٧ • ٢٩٦ صفحة
Issue: 0 • Aug 2025 • 296 Pages

الزيارة عبر العصور: إرث روحي مشترك بين الأديان

- لاهوت الزيارة والحوار بين الأديان/ أمير حسين أصغري
- الزيارة والإقتصاد/ إدث سزانتو
- الحجر الأسود في الإسلام/ حمادي ذويب
- الانضباط الروحي في الحج المسيحي/ كريستيان تي. جورج
- الحج والدراسة الأنثروبولوجية للزيارة/ ماريو بويتيلار
- من مكة إلى مشهد/ أولريتش مارزولف

شذرات. مجلة. فصلية. فكرية
العدد صفر • صفر ١٤٤٧ • ٢٩٦ صفحة

السنة الأولى

تعتبر دراسات الزيارة اليوم مجالاً بحثياً متعدد التخصصات، يجمع بين مختلف فروع المعرفة لاستكشاف هذه الظاهرة الإنسانية العميقة ولكننا نلاحظ أن معظم الدراسات المتاحة باللغة العربية في هذا المجال غالبًا ما تقتصر على المناهج التقليدية، متجاهلة التطورات المعاصرة والتحولات في فهم الزيارة كحقل أكاديمي مستقل. نسعى في هذا العدد إلى تقديم منظور جديد ومختلف لقرائنا الكرام من المتحدثين باللغة العربية، منظور قد لا يكون شائعًا في الأبحاث المشابهة. إننا نفتح آفاقًا لدراسة الزيارة من أبعاد متنوعة؛ فبعض المقالات في هذا العدد تتناول الزيارة من منظور أنثروبولوجي، بينما يتعمق البعض الآخر في أبعادها الاقتصادية أو السياسية، مسلطين الضوء على فروع حديثة ومبتكرة في دراسات الزيارة. حرصنا في هذا العدد على عرض وجهات نظر مختلفة حول الزيارة، لا تقتصر على المنظور الإسلامي والشيعي فحسب، بل تمتد لتشمل نظرات من المسيحية، واليهودية، والهندوسية، وغيرها من الأديان، لإبراز عمق هذه الظاهرة وتجلياتها العالمية.

«شذرات»
منصة للحوار؛ جسر بين الثقافات
ونبراس للفكر المستنير

تصدر عن مؤسسة المكين
للعلوم والمعارف

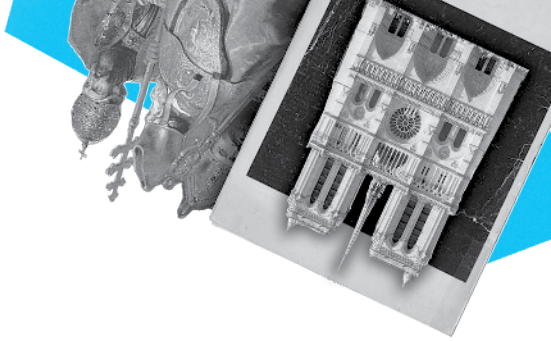

مقالات

لاهوت الزيارة والحوار بين الأديان

استكشاف الحضور الإلهي في أدعية الزيارة الشيعية

سيد أمير حسين أصغري

- باحث مشارك ما بعد الدكتوراه، قسم الدين في جامعة بايلور (الولايات المتحدة الأمريكية)
- إيران

مقدمة

يثير استكشاف أسس التفاهم بين الأديان أسئلةً محورية: ما الذي يكمن وراء بناء لغة روحية مشتركة بين أتباع الديانات المختلفة؟ كيف تتجاوز طقوسٌ كالزيارة والحج الاختلافات العقائدية لتعزيز تجربة مشتركة للقداسة؟ إن استكشاف الوجود الإلهي في الإسلام الشيعي، بالتوازي مع السرديات الكاثوليكية واليهودية، يُبرز أهمية الزيارة والحج كعاملين أساسيين في تعزيز الحوار بين الأديان. تُسلط هذه الدراسة الضوء على كيف تُشكل هذه الممارسات لغةً روحيةً عالمية، تتجاوز الاختلافات اللاهوتية وتُسهل اتصالاً عميقاً بين مختلف الأديان. من خلال دراسة مفهوم الوجود – حضور الله في كل مكان، والقداسة المستمدة من العلاقة الإلهية، والدور الوسيط للأئمة والقديسين – يُسلط هذا البحث الضوء على الأرضية الروحية المشتركة الكامنة في الأسس الطقوسية للتقاليد الإبراهيمية. يكشف التحليل المفصل لصلوات الزيارة الشيعية عن نهج شامل لتاريخ الأنبياء، يُصور جوهر الإسلام في كونه عالمياً، ويعزز حواراً أعمق وأكثر تعاطفًا بين مختلف الطوائف الدينية. تدعو هذه الورقة البحثية إلى منصة مشتركة للتفاهم من خلال التفاعل

الصادق مع مفهوم الحضور، وتُعلي من شأن التجارب الروحية على حساب الاختلافات العقائدية، وتُعزز التقدير المتبادل بين مختلف الأديان.

تحتل دراسة الدين مكانة بارزة في الخطاب الأكاديمي المعاصر. ومع ذلك، فإن النهج المتبع في التعامل مع الظواهر الدينية بالغ الأهمية. ومع تطور الدراسات الدينية كتخصص، طُرحت العديد من المنهجيات، مما أثار انتقادات أكاديمية. ورغم هذه التطورات، لا يزال التحدي قائمًا: فالأساليب المطبقة في تحليل الظواهر الدينية غالبًا ما تسفر عن رؤى غير مكتملة، تفتقر إلى الفهم الشامل.

يقدم روبرت أورسي في كتابه "التاريخ والحضور"، سردًا لنقاش محوري حول القربان المقدس الكاثوليكي خلال القرن السادس عشر. (أورسي: ٢٠١٦) كانت القضية المركزية للنقاش هي ما إذا كان يسوع حاضرًا في القربان أثناء سر القربان المقدس أم لا. يؤكد أورسي أن الموقف الكاثوليكي منذ فترة طويلة كان أن الله حاضر في الزمان والمكان. يتحدى "التاريخ والحضور" مفهوم العلمانية في الفهم العصري للدين، مجادلًا أن العلمانية لا تعني غياب الإيمان، بل تُجيز شكلًا من أشكال الدين يتجاهل "الحضور الحقيقي". ينتقد أورسي التصنيف العصري للأديان التي تعترف بـ "الحضور الحقيقي" باعتباره بدائيًا أو متخلفًا، وهو وجهة نظر تتماشى مع مخطط فريزر التطوري لانتقال التفكير البشري من السحر إلى الدين ومن ثم إلى التفكير العلمي. ووفقًا لأورسي، فإن هذا المنظور يهبط بالممارسات الدينية التعبدية لاعتبارها تعود إلى عالم البدائية، مما يقترح دينًا علمانيًا يبتعد عن الغامض أو السحري.

إن إغفال بُعد "الحضور الحقيقي" في الدين يُضعف فهم العلاقة الإلهية – البشرية في الحياة اليومية، مما يجعل النهج الأكاديمي للدين يبدو سطحياً، وفقاًلأورسي. هذا الإغفال يدفع العلماء إلى تقييم تجارب الآخرين انطلاقًا من واقعهم اليومي، متجاهلين المعتقدات والممارسات الدقيقة التي تتمحور حول "الحضور الحقيقي" للإله. يقترح أورسي أن الدراسات الأكاديمية للدين بحاجة إلى إصلاح للاعتراف بالواقع التجريبي للحضور الإلهي، محذرًا من أن الفشل في ذلك يحد من فهم دور الدين في الشؤون الإنسانية والنطاق الأوسع للتجربة الإنسانية. يختتم أورسي كتابه "التاريخ والحضور" بالقول التالي:

«كان عدم رؤية الآلهة إنجازًا؛ والتحدي هو رؤيتها مجددًا. إذا كان وجود الآلهة بالمعنى الكاثوليكي القديم حدًا مطلقًا رفض علماء الدين والتاريخ المعاصرون تجاوزه، فإنهم سيغفلون عن الواقع التجريبي للدين في الشؤون المعاصرة، وسيفشلون في فهم الكثير من جوانب الحياة البشرية.» (أورسي، ٢٠١٦: ص ٢٥٢)

يُوسع أورسي مفهوم "ذوي الحضور" ليتجاوز الكاثوليك ليشمل الأفراد من مختلف الخلفيات الدينية الذين يتفاعلون بشكل ملموس مع ما هو خارق للطبيعة، على غرار تفاعل الكاثوليك مع الإله منذ أواخر القرن السادس عشر. يُبرز هذا التصنيف سمة مشتركة بين مختلف الأديان، حيث يُعترف بوجود الكيانات الخارقة للطبيعة في حياة الإنسان وتقديرها، مُسلطًا الضوء على مدى تطبيق هذا المفهوم على نطاق واسع عبر الأديان والسياقات التاريخية والمجتمعية التي تُشكل فهمه:

شرح الصورة:
طقوس القربان المقدس هي شعيرة دينية مسيحية يُجدد فيها المشاركون عهدهم مع الله من خلال تذكار العشاء الأخير ليسوع المسيح، وذلك بتناول الخبز والنبيذ (أو عصير الفاكهة في بعض الكنائس) باعتبارهما جسده ودمه.

من بين ذوي الحضور، أُدرج الكاثوليك، وإن لم يكن جميعهم، وليس الكاثوليك فقط، بل أيضًا أتباع ديانات أخرى تُوجد فيها كائنات خارقة للطبيعة حاضرة للبشر بالطريقة التي ارتبطت بالكاثوليك منذ أواخر القرن السادس عشر، والتي اعتبرها الكاثوليك أنفسهم ميزةً لهم في العصر الحديث. (أورسي، ٢٠١٦: صص ١٤٩-١٥٠)

هذه الظاهرة تعكس تفاعلًا شخصيًا مع المقدس، يمتد إلى ما بعد اللقاء الأول ويمتد إلى المجال المجتمعي، مما يبرز ثنائية التجارب الروحية، فهي فردية عميقة لكنها عالمية الصلة.

بناءً على الرؤى الأساسية لكتاب "التاريخ والحضور"، تستكشف هذه الورقة البحثية مفهوم الحضور الإلهي في الإسلام الشيعي، مقارنًة إياه بمفهوم الحضور في السرديات الكاثوليكية. وتتعمق في حضور الكائنات المتعالية والملائكية، مع التركيز بشكل خاص على الحضور الميتافيزيقي للأئمة في الحياة اليومية والطقوس. بالإضافة إلى ذلك، تقدم هذه الورقة الحج والزيارة كلغة عالمية للتفاهم بين الأديان، مشيرة إلى أن هذه الممارسات توفر إطارًا مشتركًا لفهم المقدس عبر مختلف الأديان.

حضور الحقيقة الإلهية وغيابها

في المذهب الشيعي، يُثبت المنظور الإسلامي إيمانًا راسخًا بحضور الله في كل مكان في الكون، مُحاكيًا مفهوم "الشيكينة" اليهودي، الذي يرمز إلى الحضور الإلهي. ويقابل هذا الحضور مفهوم "الغيبة"، ولكن من المهم الإشارة إلى أن حضور الله في كل مكان شاملٌ لا يقتصر على الإدراك البشري.

> إن استكشاف الوجود الإلهي في الإسلام الشيعي، بالتوازي مع السرديات الكاثوليكية واليهودية، يُبرز أهمية الزيارة والحج كعاملين أساسيين في تعزيز الحوار بين الأديان

يُعزز القرآن الكريم مفهوم حضور الله في كل مكان، مؤكدًا في الآية: «وهو معكم أينما كنتم» (الحديد: ٥٤) مُبرزًا حضوره في كل جانب من جوانب الحياة. ولا ينشأ مفهوم الغياب الإلهي، أو الغيبة، من غياب الله الفعلي، بل من محدودية إدراكنا لوجوده في كل مكان. وقد يُعيق انغماسنا في العالم المادي إدراكنا الروحي الكامل لحضور الله، مما يُشير إلى أن الغياب المُتصور ناتج عن قصور الإدراك البشري لا عن غياب الوجود الإلهي.

يؤكد علم اللاهوت الشيعي على الوجود الشامل لله، مع تفصيل القرآن لوجود الله في كل مكان من خلال تصويره على أنه لا مثيل له ولكنه يتجلى في عناصر مختلفة من الوجود. لا يوجد شيء في الوجود إلا الله. بنفس الطريقة، لو قلتَ: "ليس في المرآة إلا من يظهر نفسه بها"، ستكون صادقًا. ومع ذلك، أنت تعرف أنه لا يوجد شيء على الإطلاق "في المرآة"، ولا يوجد شيء فيها عند الناظر. ولكن في صورة المرآة نفسها، تُرى التغيرات والآثار. وفي الوقت نفسه، يكون الناظر كما كان، ولا يُظهر أي أثر... ليس في الوجود إلا هو، والوجود لا يُكتسب إلا منه... فالمرآة إذن هي حضور الاحتمالية، والحق هو الذي ينظر إلى داخلها، والصورة هي أنت على قدر إمكانياتك. (ابن عربي ويحيى، ١٩٧٢، اقتباس. الفيلسوف تشتيك، ٢٠١٥: ص ١٥)

يشير مصطلح "السكينة" في القرآن الكريم إلى طمأنينة الله وسكينته، وهو ما يُقارب مفهوم "الشيكينة" اليهودي. في كلا التراثين، يتجلى هذا الحضور الإلهي بأشكال ملموسة، يُقدسها الله أو أنبياؤه، مُحاكيًا بذلك الجوهر المقدس للحضور الإلهي. ويتماشى مفهوم المظاهر المادية للقداسة مع تبجيل الأماكن والأشياء المقدسة الموجودة في التقاليد الدينية الأمريكية الأصلية.

يُضفي الواقع الإلهي على كل شيء صفةً مقدسة بوصفه جوهر الوجود وأصله. هذا الجوهر، كما يُعبر عنه غينون، يتغلغل في التراث، بما في ذلك الفن والصناعة والثقافة، مُنعكسًا

كنبعٍ من مصدرٍ فكريٍ نقي. يُمثل المقدس البُعدَ الباطني للعالم الخارجي الملموس، حيث يكون الباطن غير مرئي والخارج مرئيًا. تُشكل الكتب المقدسة قنواتٍ تكشف عن علامات هذا المقدس غير المرئي، مُؤكدةً التفاعل بين عوالم الوجود المرئية وغير المرئية.

أئمة الشيعة (ع) كمظاهر إلهية

في العقيدة الشيعية، يُنظر إلى الأئمة (ع) كأشخاص معصومين ومؤهلين إلهيًا، يتم تعيينهم من قبل الله عبر رسوله لا عبر الإنتخابات. ولا يُنظر إليهم كشخصيات سياسية فحسب، بل كأشخاص مقدسين معصومين، يُجسدون التجلي الكامل لأسماء الله وصفاته. وهم خلفاء الله في الأرض وحججه، يحملون صفات غيبية تُكسبهم السلطة الإلهية. وقد أقر القرآن الكريم بقيادتهم الروحية، مؤكدًا دورهم إلى جانب الله ورسوله في هداية المؤمنين، لاسيما في ممارسات تعبدية كالصلاة والزكاة. (المائدة: ٥٥)

تُقدم الآية استمرارية الولاية من الله إلى النبي (ص)، ثم إلى المؤمنين، الذين هم أهل البيت (ع) في التفسير الشيعي. (أصغري: ٢٠٢١) يصف كوربان هذا المفهوم بأنه جوهر علم الإمامة، الذي يسير جنبًا إلى جنب مع علم النبوة. (كوربان: ١٩٨٦) ويشير إلى أن الولاية هبة محبة، محبة إلهية أو نعمة تقدس "أولياء الله" إلى الأبد، وتحول دين الشريعة إلى دين المحبة. بهذا المعنى، يصف شوون العلاقات السنية الشيعية في عمله "الإسلام / المسيحية". (شوون: ١٩٩٦)

تعد محبة أهل البيت (ع) عاملاً أساسيًا لفهم جانب حيوي في الإسلام الشيعي. إن المحبة والولاء لأهل البيت يُوفران أساسًا لتوسيع حضور المقدس بين المؤمنين الشيعة. يرتبط الحب بوجه الله الحاضر في كل مكان، والذي بدوره، تتجلى فيه الإنسانية الكاملة على الأرض. وبالتالي، يجب على المؤمنين أن يظلوا دائمًا مخلصين لله. يستمر هذا الولاء للإمام الغائب المهدي (ع)، الذي يُعرف بأنه استمرار لولاية الله، ولكنه غير مرئي. في هذه الحالة، الغياب هنا لايعني نسيان وجوده والغفلة عنه، لأنه باب الله ووسيط رحمته على الأرض. يجب أن يظل على اتصال روحي بالإمام لكي يتم تنوير المرء وإرشاده روحيًا وتلقي البركة الإلهية. على هذا النحو، فإن الإمام الغائب غائب جسديًا ولكنه حاضر روحيًا. يجب على الأتباع إيجاد صلة بحضوره الروحي لنيل البركة الروحية. ولهذا يقول كوربان إن الإمام غير مرئي للحواس، ولكنه حاضر في قلوب الذين يؤمنون به. (كوربان، ١٩٨٦: ص ٤٢) ولذلك دلت السنة النبوية على الوظيفة الجلية لمعرفة الإمام: من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية. (التفتازاني: ١٩٥٠)

في الخطبة المعروفة باسم "البيان"، المنسوبة إلى الإمام علي (ع)، والتي تناقلتها بشكل رئيسي مصادر الشيعة، يكشف الإمام علي (ع) عن جوهره الروحي العميق، مُعرفًا نفسه بأسرار إلهية وهداية، مُجسدًا البداية والنهاية، الظاهر والباطن. تُبرز هذه الخطبة الأئمة كتجسيدات للوجود الإلهي: أنا سر الأسرار، أنا دليل السماوات، أنا الأول والآخر، أنا الظاهر والباطن، أنا الرحمن، أنا وجه الله، أنا يد الله، أنا نموذج الكتاب، أنا سبب الأسباب.

إن التقاليد الشيعية، وخاصة في أصول الكافي، توضح هذا المفهوم بشكل أكبر، حيث تصور الأئمة باعتبارهم أمناء على الحكمة الإلهية ومفسرين للقرآن، وبالتالي يعملون كتجسيد حي للمعرفة الإلهية والأسرار وكورثة شرعيين ومفسرين لكلمة الله.

التربة المقدسة وقدرتها العلاجية

يُعتقد في المذهب الشيعي أن زيارة مقام الإمام المقدس تمنح البركة الإلهية. تُعد هذه الأضرحة أماكن مقدسة، حيث يُعتقد أن الملائكة تنزل، وروح الإمام حاضرة، مما يُسهل التواصل مع الله. هذه البركة، النابعة من الله، ينقلها الإمام بفضل قربه الفريد من الله. يمكن لهذا التفاعل المقدس أن يُثمر فوائد روحية ومادية، بما في ذلك الخصائص العلاجية المنسوبة إلى الزيارة. يوضح روبرت ميري أن قدسية الأشياء والأشخاص والأماكن والممارسات تنبع من عبادتهم لله. (ميري: ١٩٩٩)

أُدرج الكاثوليك، وإن لم يكن جميعهم، وليس الكاثوليك فقط، بل أيضًا أتباع ديانات أخرى توجد فيها كائنات خارقة للطبيعة حاضرة للبشر بالطريقة التي ارتبطت بالكاثوليك منذ أواخر القرن السادس عشر، والتي اعتبرها الكاثوليك أنفسهم ميزةً لهم في العصر الحديث

كما يوضح أورسي، فإن البركة لا تقتصر على الكائنات الروحية أو الميتافيزيقية. ويذكر أن تربة الموقع الكاثوليكي كانت ذات قوة شفائية. وينطبق الأمر نفسه على ضريح الإمام الحسين(ع). علاوة على ذلك، تم إدراج تربة ضريح الإمام الحسين(ع) في العديد من الطقوس الشيعية، وأهمها الاحتفاظ بكمية صغيرة من التربة ونقلها إلى القبر عند الموت. وبهذه الطريقة، تصبح بركة التربة وقوتها الشفائية شيئًا ماديًا. ووفقًا لأورسي وميري، تُمارس طقوس مماثلة في الكاثوليكية واليهودية.

تنص المعتقدات الشيعية على أن تربة الأماكن المقدسة، المشبعة بالبركات والخصائص العلاجية، قد تفقد فعاليتها إذا استُهين بها. وهذا يشير إلى أن قدسية الشيء وقدرته العلاجية ليست جوهرية، بل تعتمد على حضور المقدس. وتتلاشى قوة هذا الشيء دون توقيره والعناية به، مما يؤكد أهمية التعامل باحترام مع الأشياء المقدسة.

أدعية الزيارة والتواصل بين الأديان

تهدف أدعية الزيارة الشيعية إلى غمر المتعبد في اتساع التاريخ النبوي، مُؤكدةً على جوهر الإسلام باعتباره شاملاً. تُعزز هذه الأدعية صلةً عميقة بين الزائر وسلالة الأنبياء من خلال تقديم سلالة مُوحدة من آدم(ع) إلى محمد (ص)، وتشجع على التأمل في استمرارية التراث الإسلامي ووحدته. تُؤكد هذه العملية الاعتقاد بأن النبي محمد (ص) وأهل بيته(ع) هم ذروة التراث النبوي، مُجسدين ذروة الفضائل الإنسانية، كما هو مُبين في الأدعية التي تُكرم الإمام باعتباره الخليفة الشرعي لجميع الأنبياء:

- السلام عليك يا وارث آدم، صفوة الله.
- السلام عليك يا وارث نوح، نبي الله.
- السلام عليك يا وارث إبراهيم، خليل الله.
- السلام عليك يا وارث موسى، كليم الله.
- السلام عليك يا وارث عيسى روح الله.
- السلام عليك يا وارث محمد حبيب الله.

> في المذهب الشيعي، يُثبت المنظور الإسلامي إيمانًا راسخًا بحضور الله في كل مكان في الكون، مُحاكيًا مفهوم "الشيكينة" اليهودي، الذي يرمز إلى الحضور الإلهي

في التراث الشيعي، يُعد دُعاء السِمَات، الذي يعود أصله إلى أنبياء بني إسرائيل وانتقل عبر الأئمة الشيعة، مثالًا على السلالة الروحية والاتصال. يتضمن هذا الدعاء عناصر تعكس استمراريةً تاريخيةً ولاهوتيةً عميقةً داخل التقاليد الإبراهيمية، مُؤكدةً على ترابط الدين الإسلامي مع أسلافه من الأنبياء. من خلال تلاوتها، يُذكر المتعبدين بالإرث الروحي المشترك وسلسلة الهداية الإلهية المتواصلة من الأنبياء الأوائل إلى أئمة الشيعة: «أسألك يا الله بجلالك الذي كلمت به عبدك ورسولك موسى بن عمران عليه السلام...» يعكس هذا المثال المقتطف، وغيره من الأمثلة المشابهة التي يُخاطَب فيها عددٌ من الأنبياء، بُعدًا شاملًا وعابرًا للأديان، يُصور العلاقات المعقدة ضمن التراث النبوي. وينقل رسالة مفادها أن خاتم الأنبياء (ص) يتحلى بجميع صفات وخصائص أسلافه. والجدير بالذكر أن الاستشهاد بالأنبياء السابقين لا يدلل بأي حال على الاعتقاد بأن خاتم الأنبياء يفتقر إلى هذه الصفات، بل على العكس، فهو يُؤكد أنه يمثل ذروة السلالة النبوية من آدم(ع) إلى محمد(ص).

وجهة النظر هذه تتماشى مع التعريف القرآني للإسلام بأنه استسلام لله، مما يؤكد عالمية الدين ورسالته للإنسانية كافة. وفي هذا السياق، يعتبر دعاء الزيارة في التراث الشيعي الأئمة ورثة للإرث النبوي، مجسدين تعاليم وحكمة جميع الأنبياء الذين سبقوهم. لذا، فإن حضورهم يعتبر حضورًا شاملًا يواصل تغذية الفهم المتعلق بالأفراد من خلفيات دينية متنوعة. توفر مثل هذه اللقاءات والتجارب أساسًا متينًا للتفاهم بين الأديان. وفي إطار هذه الفلسفة، يمكن للمرء أن يفهم لماذا أكد نبي الإسلام (ص) وأئمة الشيعة(ع) مرارًا أنهم يجسدون السلالة الروحية لآدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى وغيرهم. وفي

هذا السياق قال النبي (ص): «من أراد أن يرى حكمة آدم، وفطنة نوح، وصبر إبراهيم، وزهد يحيى بن زكريا، وقوة موسى بن عمران، فلينظر إلى علي بن أبي طالب(ع).»

وفي جوهرها، يستطيع قارئ مثل هذه الصلوات والزيارات أن يدرك أنه عندما يتم استكشاف مفهوم الحضور بجدية، فإنه يوفر منصة مشتركة للتفاهم بين الأديان والحوار الهادف.

للمؤمنين علاقة متبادلة مع الإمام، مستمدة من حضوره المقدس وبركاته. كون الأئمة تجسيدًا للقداسة، تُصبح أضرحة الأئمة مراكز للنعمة الروحية. وبالتالي، يسعى أتباع المذهب الشيعي إلى الإثراء الروحي والنجاة من خلال إخلاصهم للأولياء. يُقدم فحص أدعية الزيارة الشيعية رؤى ثاقبة في الجوانب التعبدية للحضور الكوني للإمام. تُشكل هذه الأدعية، المتجذرة في تعاليم الأئمة وصحابتهم المقربين، جزءًا هامًا من الأدب التعبدي الشيعي، مما يتيح للزوار التواصل مباشرة مع الإمام، الذي يُنظر إليه على أنه كيان حاضر ومنتبه طوال الوقت. ويستند هذا التفاعل إلى الرأي الديني القائل بأن قدرة الإمام على الاستماع والاستجابة تتجاوز الحدود المادية للحياة والموت. ويؤكد حديث للإمام موسى الكاظم(ع) على الصلة الخالدة والميتافيزيقية التي تربط المؤمنين بجميع الأئمة، مؤكداً على وحدة واستمرارية هدايتهم الروحية عبر الأجيال:

«من زار أولنا فقد زار آخرنا، ومن زار آخرنا فقد زار أولنا ومن تولى أولنا فقد تولى آخرنا، ومن

شرح الصورة:
هنري كوربان (١٩٠٣-١٩٧٨م) فيلسوف ومستشرق فرنسي، اشتُهر بدراساته في التصوف الإسلامي والفلسفة الإيرانية. أعاد إحياء أعمال السهروردي ومدرسة أصفهان، وسلّط الضوء على صلة الفلسفة الإسلامية بالتيارات العرفانية العالمية.

تولى آخرنا فقد تولى أولنا.» (أمير معزي، ٢٠١١: ص ٣٩١)

تتعزز أهمية هذه الرواية عند مقارنتها بحديث آخر، يؤكد أن جميع أفراد أهل البيت(ع) هم تجليات للنور الإلهي نفسه، متحدون في جوهرهم وهويتهم مع محمد (ص). هذه الوحدة تُبرز الحضور الروحي للإمام في حياة المؤمنين، مما يجعله وسيلةً للشفاعة الإلهية، حتى في غيابه الجسدي. ينبع ارتباط الثقافة الشيعية الوثيق بالأئمة من هذا الحضور الروحي الدائم، الذي يُعتقد أنه يتفاعل بشكل نشط مع أتباعه ويُقوم خطاهم. تمتد هذه السردية إلى الأنبياء، موضحة السلالة الروحية المشتركة ودور الإمام باعتباره امتدادا لهذه التقاليد المقدسة.

تُمهد صلوات الزيارة الطريقَ لالتماسٍ شخصي للإمام باستحضار إسهامات ومعجزات كل نبي، مُسلطةً الضوء على فضائله وحرمة المرقد. تؤكد هذه الصورة من الصلاة على الصفات الروحية والميتافيزيقية للإمام، مما يعزز لقاء المؤمن بالحضور الإلهي والبركات وإمكانية الشفاء في المزار:

« السلام على آدم صفوة الله من خليقته، السلام على نوح المجاب في دعوته، السلام على إبراهيم الذي حباه الله بخلته، السلام على موسى الذي فلق الله البحر له بقدرته، السلام على يحيى الذي أزلفه الله بشهادته. السلام على عيسى روح الله وكلمته، السلام على محمد حبيب الله وصفوته.» (مشهدي ومجد: ٢٠٠٤)

> ما يميز الصراع الطائفي الحاصل في الوقت الراهن عن الصراعات الطائفية السابقة، هو أن الصراع السابق كان يحدث في جسم الأمة القوي، فقد تُسبب تلك الصراعات بعض الأمراض الجانبية، لكن سرعان ما تضمحل وتزول، على عكس واقع الأمة المعاصر، فهو واقع هزيل

يتوجه الدعاء إلى كل نبي ويذكر أهم صفاته أو معجزاته. بعد هذه المقدمة الشائعة، يخاطب الحاج إمام المقام الذي يزوره، ثم يركز الدعاء على كمالات الإمام ودرجات إيمانه. وكما ذُكر، تتضمن صلاة الزيارة وصفًا مفصلًا للمقام ومحيطه المبارك، حيث يصادف الزائر "الحضور" والبركة والشفاء وما شابه. ويواصل دعاء الزيارة هذا سرد سمات الحسين الروحية والميتافيزيقية كل على حدة:

«السلام على الحسين الذي سمحت نفسه بمهجته... السلام على من جعل الله الشفاء في تربته، السلام على من الاستجابة (للدعاء) تحت قبته.» (المصدر السابق)

يهدف الزوار إلى تطهير قلوبهم من أجل تعزيز التوافق الروحي، طالبين عناية الإمام ونعمه، معتبرين هذا التطهير ضروريًا للاتصال الميتافيزيقي بالمقدس. يتجلى هذا الشوق إلى الطهارة في دعاء الزيارة، الذي يطلب أيضًا مساعدة الإمام للتطهير الروحي. تشمل الزيارة الأفعال والنوايا، مدفوعة بالاعتقاد بأن دعوة الإمام تتطلب قلبًا نقيًا للأعمال الصالحة. يمتد هذا الجذب الروحي إلى أجواء الضريح، حيث تضفي قدسية الإمام على كل شيء داخل الضريح – من الأشياء إلى الأدوار – جوهرًا مقدسًا، محولة الأنشطة الدنيوية إلى أعمال عبادة. يتخلل الشعور بالبركة تجربة الحج بأكملها، مما يدفع الزائر إلى الإخلاص والتفاني طوال رحلته.

بينما قد تبدو الزيارة تفاعلاً بين داعي حي وولي متوفى، فإن التراث الشيعي يصورها حواراً ديناميكياً مع الإمام، يتجاوز الغياب الجسدي ليحقق صلة روحية قوية. ويتجلى هذا المفهوم بوضوح في دعاء زيارة الإمام علي(ع)، أول أئمة الشيعة، حيث يُبرز اعتراف الداعي بوعي الإمام واستجابته لحضوره تفاعلاً حقيقياً، وإن كان روحياً:

«وأشهد يا موالي أنكم تسمعون كلامي، وترون مقامي، وتعرفون مكاني، وتردون سلامي، وأنكم حجج الله البالغة، ونعمه السابغة.» (الهادي وباقي، ٢٠١٣: ص ١١٩)

وتتجاوز هذه الصلوات مجرد التذكير، وتبحث عن شفاعة الإمام الأخروية من أجل خلاص

الداعي ونيل الرضوان الإلهي:
« فاذكروني عند ربكم، وأوردوني حوضكم [في الجنة]، واسقوني بكأسكم، واحشروني في جملتكم، واحرسوني من مكاره الدنيا والآخرة، فان لكم عند الله مقاما محمودا، وجاها عريضا، وشفاعة مقبولة. فإني قصدت إليكم، ورجوت بسلامي عليكم ووقوفي بعرصتكم واستشفاعي بكم إلى الله أن يعفو عني، ويغفر ذنبي، ويعز ذلي، ويرفع صرعتي، ويقوي ضعفي، ويسد فقري، ويبلغني أملي، ويعطيني منيتي، ويقضي حاجتي، فيما ذكرته من حوائجي وما لم أذكره، ما علم أن فيه الخيرة لي، حتى يوصلني بذلك إلى رضاه والجنة». (المصدر السابق)

تُجسد هذه الممارسة ديناميكية معقدة للعلاقة بين المستغيث والإمام والله، حيث يُمثل الإمام وسيطًا محوريًا يُعزز الصلة الإلهية. ويزداد هذا الانخراط الشخصي مع المقدس خلال الزيارة رسوخًا خاصة في المناسبات الجماعية المهمة مثل عاشوراء والأربعين، مما يُظهر مزيجًا من التعبد الفردي والتعبير الديني الجماعي في الإسلام الشيعي.

علاوة على ذلك، يُدعى جميع أتباع الديانات إلى الشروع في رحلة نحو مسكنهم الأسمى والتواصل مع ربهم. هذا المسار الروحي هو رحلة حج داخلية تبدأ في قلب المؤمن وتبلغ ذروتها بالاتحاد مع الله. تُنمي هذه الرحلة الداخلية لغةً عالميةً بين من سلكوا هذا الطريق، فيجدون لغةً مشتركةً يتحدثون بها وتجربةً مشتركةً يستكشفونها ويتعمقون في فهمهم الجماعي مستخدمين لغة تخرج من طبيعتهم الفطرية، التي يُطلق عليها القرآن اسم "الفطرة".

تنتعش خطابات الذم والقدح والتشهير والتخوين، في سياق الاستقطابات والانقسامات الداخلية في الدول، فكلما زادت أوجه الانهيارات على مستويات عدة، تمددت تلك الخطابات وتشعبت من الفضاء الواقعي «قديمًا» إلى الفضاء الافتراضي «حديثًا» لتُحدث في النهاية جملةً من التداعيات والآثار غير الحميدة

الخاتمة

تشترك طقوس الحج والزيارة الراسخة في جميع التقاليد الإبراهيمية وغيرها، في فلسفة جوهرية، وتُثير مشاعر متشابهة بين أتباعها. تُعزز هذه الممارسات لغة روحانية عالمية، تتجاوز الاختلافات العقائدية، وتعزز اتصالًا قلبيًا يُجسر الفجوات بين المجتمعات الدينية المتنوعة. وبالتالي، تلعب هذه الأساسيات الطقوسية دورًا حيويًا في تعزيز الفهم المتبادل والحوار بين أتباع الديانات المختلفة.

يستكشف روبرت أورسي في مقاله "التاريخ والحضور"، فكرة الحضور الإلهي في الكاثوليكية، منتقدًا إغفال المجال الأكاديمي لهذا الجانب الحاسم، والذي يعتقد أنه يحد من فهم التجارب الدينية. وسعت هذه الورقة نطاق هذا البحث ليشمل استكشاف مفهوم الحضور في الإسلام الشيعي، مقارنًا إياه بمفاهيم مماثلة في الكاثوليكية واليهودية. هدف البحث إلى سد فجوات الفهم وإبراز الأهمية العميقة للحضور الإلهي في هذه التقاليد الدينية، مما يخلق لغة مشتركة تتجاوز التفسيرات اللاهوتية المتنوعة.

في التراث الإسلامي، يُنظر إلى الكون على أنه حضور الله، ومفهوم الغياب ينشأ فقط من محدودية الإنسان. يُشدد الإسلام الشيعي على دور الأئمة والأولياء في تسهيل العلاقة بين الإنسان والله، وجلب البركات من الله. تنبع القداسة من الله، وقدسية كل شيء آخر تنبع من علاقته به.

وعلاوة على ذلك، فإن أوجه التشابه بين الإسلام الشيعي والممارسات الكاثوليكية ومفهوم الشيكينة الموازي في اليهودية – والتي تشكل بوضوح جانبًا مهملاً من الدراسات الدينية الحديثة – يمكن أن تشكل أساسًا لحوار بين الأديان أكثر تعاطفًا.

أخيرًا، أوضحت هذه الدراسة أن أدعية الزيارة الشيعية تتميز ببعد فريد يهدف إلى نقل التاريخ النبوي كاملًا للزوار، مبرزةً الطبيعة الشاملة للإسلام وفقًا لمدرسة أهل البيت(ع). تُصور هذه الأدعية خطًا متصلا من الأنبياء من آدم(ع) إلى محمد (ص)، مؤكدةً على ترابط التقاليد النبوية. تشجع هذه النظرة على حوارات داخلية بين الزوار، وتربطهم بالأولياء والأنبياء، وتذكرهم بأن النبي محمد (ص) وأهل بيته(ع) يمثلون ذروة تجلي الإنسان الكامل. تُخاطب الأدعية الأئمة باعتبارهم ورثة التراث النبوي، مؤكدةً تجسيدهم لتعاليم الأنبياء السابقين. يتماشى هذا الشمول مع التعريف القرآني للإسلام بأنه عالمي، مُعززًا

التفاهم بين الأديان. إن استكشاف مفهوم الحضور، إذا ما قُدر بصدق، يُشكل أرضيةً مُوحدةً للحوار بين الأديان، مُقدمًا لغةً عاميةً عالميةً متجذرةً في تعابير القلب تتجاوز كل الحدود والقيود. ويساهم هذا الفهم الأساسي في تسهيل حوار أعمق وأكثر تعاطفاً بين الديانات المختلفة، مُعززةً لتجارب روحية مشتركة تتجاوز الفروق العقائدية.

قائمة المصادر والمراجع

١. ابن العربي، وعثمان يحيى. (١٩٧٢): الفتوحات المكية، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

٢. أصغري، سيد أمير حسين. (٢٠١٧): «أنطولوجيا وكوسمولوجيا العقل في شرح صدرا لأصول الكافي»، مجلة الدراسات الإسلامية الشيعية، ١٠(٢): صص ١٥٧-٨٢.

٣. أصغري، سيد أمير حسين. (٢٠٢٠): «اللاهوت الصوفي الشيعي: ملاحظات على كتاب جامع الأسرار ومنبع الأنوار للسيد حيدر آملي»، قم: مجلة العلوم الدينية، ٩(٣): صص ٦٥-٨٠.

٤. أمير معزي، محمد علي. (٢٠١١): روحانية الإسلام الشيعي: المعتقدات والممارسات، لندن ونيويورك: آي. بي. توريس بالتعاون مع معهد الدراسات الإسماعيلية.

٥. أمير معزي، محمد علي، إيتان كولبرغ، وحسن أنصاري. (٢٠١٦): القرآن الصامت والقرآن الناطق: النصوص المقدسة في الإسلام بين التاريخ والحماسة، ترجمة إريك أورمسبي. نيويورك: جامعة كولومبيا.

٦. التفتازاني، مسعود بن عمر. (١٩٥٠): تفسير عقيدة الإسلام: سعد الدين التفتازاني على عقيدة نجم الدين النسفي، ترجمة إيرل إدغار إلدر، نيويورك: مطبعة جامعة كولومبيا.

٧. تشيتيك، ويليام سي. (١٩٨٩): الطريق الصوفي للمعرفة: ميتافيزيقا الخيال لابن العربي، نيويورك: جامعة ولاية نيويورك.

تُخاطب الأدعية الأئمة باعتبارهم ورثة التراث النبوي، مؤكدةً تجسيدهم لتعاليم الأنبياء السابقين

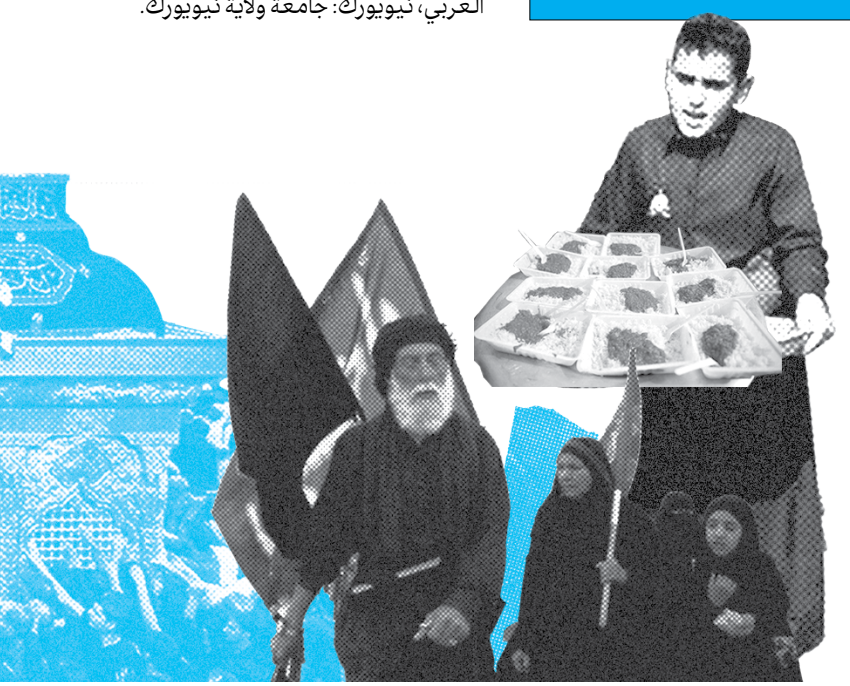

٨. تشيتيك، ويليام سي. (٢٠١٥): الكشف عن الله ذاتيًا: مبادئ علم الكونيات لابن العربي، نيويورك: جامعة ولاية نيويورك.
٩. القرآن الكريم
١٠. اللوثري. (١٩٩٩): الإصلاح، ليدن هولندا: بريل.
١١. المجلسي، محمد باقر بن محمد تقي. (٢٠١١): بحار الأنوار: الجامع لدُرَر أخبار الأئمة الأطهار، بيروت لبنان: دار الأميرة.
١٢. المعلم، ديما أحمد. (٢٠٢٠): «من أجل الإمام الرضيع: تطور تقاليد الملائكة الضالة»، مراجعة الدراسات الشيعية، ٤(١-٢): ص ١٠٨.
١٣. مشهدي، محمد بن جعفر، ووحيد مجد. (٢٠٠٤): زيارة الناحية المقدسة، طهران: نبأ للنشر.
١٤. ميري، جوزيف دبليو. (١٩٩٩): «جوانب البركة والعبادة الطقسية بين المسلمين واليهود في العصور الوسطى»، لقاءات العصور الوسطى، ٥(١): ص ٤٦.
١٥. الهادي، م. إ.، وم. م. باقي. (٢٠١٣): مجموعة أدعية الزيارة الشيعية: المجلد ٢ - النجف الأشرف: جامع الزيارات المعصومة، مطبعة جامعة ماهاريشي الدولية.
١٦. دستغيب، عبد الحسين. (٢٠٠٤): الكبائر، قم: أنصاريان.
١٧. شون، فريثجوف. (١٩٩٦): المسيحية/الإسلام: مقالات في المسكونية الباطنية، بنغالور: كتب مختارة.
١٨. فريزر، جيمس جورج. (١٩٩٠): الغصن الذهبي: دراسة في السحر والدين، الطبعة الثالثة، نيويورك: منشورات سانت مارتن.
١٩. كوربن، هنري. (١٩٨٦): المعبد والتأمل، د.ن.
٢٠. الكليني، محمد بن يعقوب. (١٩٨٢): الكافي، طهران: جماعة الإخوان المسلمين.
٢١. أورسي، روبرت أ. (٢٠١٦): التاريخ والحضور، كامبريدج ماساتشوستس: مطبعة بيلكناب التابعة لجامعة هارفارد.
٢٢. حيدر، نجم. (٢٠٠٩): «الصلاة، المسجد، والحج: رسم خريطة الهوية الطائفية الشيعية في الكوفة في القرن الثاني/الثامن الميلادي»، الشريعة الإسلامية والمجتمع، ١٦(٢): ص١٥١.

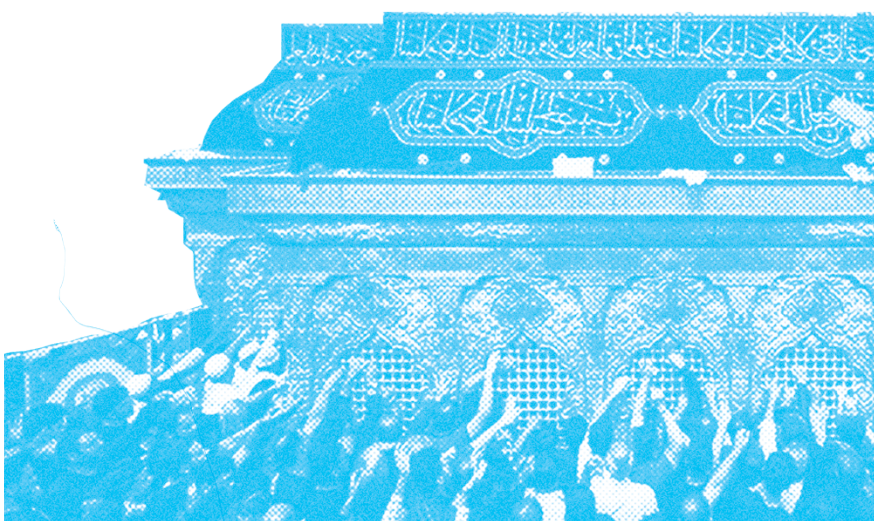

شرح الصورة:
المحبة الحقيقية لأهل البيت (ع) لا تقتصر على المشاعر القلبية فحسب، بل تتجلى عملياً في الصمود أمام الظالمين ونصرة المظلومين.